

د.عبد الوهاب العمرى

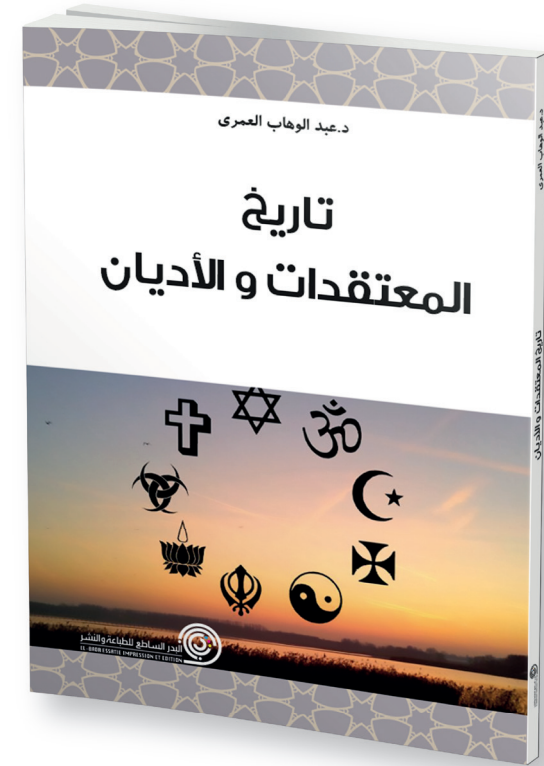
د.عبد الوهاب العمرى

تاريخ المعتقدات و الأديان

تاريخ المعتقدات و الأديان

د.عبد الوهاب العمرى

تاريخ
المعتقدات و الأديان



البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

ISBN : 978- 9931- 752- 43- 1



9 789931 752431

البدر الساطع للطباعة والنشر

العلامة -19600- الجزائر

هاتف/فاكس : 036 76 40 08

النقل : 05 55 71 30 53 / 07 70 31 16 56

البريد الإلكتروني : elbadr_essatie@yahoo.com

البدر الساطع للطباعة والنشر

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

المحاضرة الأولى:

مفاهيم أولية في تعريف الدين والظاهرة الدينية:

مفهوم الدين بين اللغة والاصطلاح:

يعرف الدين في اللغة اشتقاقاً من الفعل الثلاثي "دان" وكلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه "دان بدينه"، وتارة من المتعد بنفسه: "دان بدينه" وتارة من الفعل المتعد باللام: "دان له"، وتارة من فعل متعد بالياء: "دان به" وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة، ويلخص محمد عبد الله دراز الصيغ الثلاث الممكنة في اشتقاق كلمة "دين" بقوله: فإذا قلنا: دان دينا يقصد به بأنه ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه، فالدين في هذا الاستعمال يدور حول معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة¹.

وإذا قلنا "دان له" أردنا أنه أطاعه، وخضع له، فالدين هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع، وكلمة: "الدين لله" يصح أن منها كلا المعنيين: الحكم لله، والخضوع لله، وإذا قلنا "دان بالشيء" كان معناه أنه اتخذ دينا ومذهباً، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به، فالدين على هذا المعنى هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً، فللمذهب العملي لكل امرئ هو عاداته وسيرته، كما يقال "هذا ديني وديدي" والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتقده².

1- محمد عبد الله دراز: الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ص 30

2- المرجع نفسه، ص 31.

أما المعنى الاصطلاحي للدين فقد اشتهر في الفكر الاسلامي تعريف الدين بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والصلاح في المآل" ويمكن تلخيصه بأن نقول: "الدين وضع إلهي يرشد للحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"¹

تعريفات الفلاسفة الغربيين للدين:

سيرون في كتابه "عن القوانين" : "الدين هو الرباط الذي يربط الانسان بالله"².

كانت في كتابه: "الدين في حدود العقل": "الدين هو الشدود بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية"³

روبرت سبنسر: في كتابه "المبادئ الأولية": "الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية وهو عنصر رئيسي في الدين"⁴
ماكس مولر: في كتابه "نشأة الدين ونموه": "الدين محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هو التطلع إلى اللاهائي، هو حب الله"⁵

إميل دوركايم: في "الصور الأولية للحياة الدينية" "الدين بأنه مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (أي المعزولة والمحرمة)، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة"⁶

1- المرجع نفسه، ص 33.

2- عبد الله دراز: الدين، ص 34. (نقلا عن: Ciceron ; de Legibus,

3- عبد الله دراز: الدين، (نقلا عن : 4 , Kant : la religion dans les limites de la Raison , éme partie, 1ére section

4- عبد الله دراز: الدين، ص 34، (Robert Spencer : Premiers Principes)

5- عبد الله دراز: الدين، ص 35، (نقلا عن : Max Muller : Origine et Développement de la religion , Leçon 1, ch, 6

6- عبد الله دراز: الدين، (نقلا عن: Durkheim : Formes Elémentaires de la Vie Religieuse , P 65

معنى الدين في الفكر المسيحي:

الدين من اللفظ "دان" ومعناه القاضي، وهو اسم شخص وهو خامس أبناء يعقوب (عليه السلام)¹ بحسب التوراة، وورد في الانجيل: دان، يدين، دين: دينونة، وتطلق على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم².

كلمة: "Religion" تعني نشاطات انسانية يهتم بها ويمارسها جميع البشر في كل البقاع، وفي اللاتينية ترد هذه الكلمة مجزئة كما يلي "rel" "ligo" وقد اختلف العلماء في ارجاع هذه الكلمة إلى مصدرها وجذورها، واقترح الباحث سيسرو أن الجذر "leg" تعني المراقبة أو الملاحظة، وخاصة مراقبة الأجرام السماوية، أو الالهامات السماوية الدينية.

أما سيرفيوس فله رأي مخالف فالكلمة جاءت من جذر آخر هو "lig" وتعني الرابطة أو العلاقة المشتركة بين الانساني والالهي، ويمكننا اعتماد التفسيرين كما فعل القديس أغسطين إذ رأى أن كلمة "دين" "Religion" تتضمن المعنيين السابقين معا. إذا تفحصنا الكلمة اليونانية التي تعني أيضا "الدين" فإن ترجمتها الحرفية هي الاستلهام والتكهن، عن طريق ممارسة الشعائر والمراقبة الدقيقة.

وفي الفكر المسيحي الشائع استعمال كلمة "Religion" للدلالة على علاقة متينة بين النفس الانسانية والذات الالهية المقدسة، ولكن علاقة كهذه تعد ثابتة كالطريق أو الطريقة غير خاضعة للتغيير والتطور.

¹- التكوين 6: 30.

²- بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، 1995م، ص 382.

المحاضرة الخامسة:

نماذج من ديانات الشرق الأقصى

الديانة الهندوسية

الهند عالم حضاري قائم بذاته، سميت ببلاد العجائب والتناقضات، لتنوع واختلاف وتباين أديانها وثقافتها ومعتقداتها، وتعد من أهم الأقطار التي لفتت أنظار العالم إليها، من علماء وباحثين ومؤرخين، وأثارت فيهم حب الاطلاع في كل حين، فالهند على حد قول غوستاف لوبون: "عالم يختلف عن عالمنا بجوئه وهوائه وأرضه وسكانه، ذلك العالم العجيب هو زبدة جميع العوالم وخلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ، وصورة صادقة للأطوار المتأرجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة، وعلى هذه البقعة من الأرض تكتنف مختلف العروق الممثلة لجميع تطورات الماضي تقريبا، وتلك البقعة هي ذلك القطر الواسع العجيب، الذي أجمل فيه تاريخ البشر، على ما اشتمل من جميع الأجيال"¹.

تقد الهند في آسيا الجنوبية، تقسم إلى منطقتين: الشمال والجنوب، تشغل الأولى شبه جزيرة ديكان "هندوستان" وتقع الثانية في الياسة، تنفصل الهند عن البلدان الأخرى بجمال الهمالايا، أعلى سلسلة جبلية في العالم، وهو ما عرقل اتصالها ببقية الشعوب².

¹- غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتير، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص 9- 10.

²- ف. دياكوف و س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ج1، ص 209.

إنّ الحديث عن أديان الهند أمر متسع الجوانب، متفرع النواحي، إذ انتشر على أقطار أرضها، العديد من المعتقدات والديانات، المختلفة ومتنوعة، أولها الديانة التي أدخلها الآريون، وعرفت بـ"الناجا" وهي عبارة عن عبادة روحانية وطوطمية¹.

كما كانت الحضارة الهندية شاهدة على ملامح لديانات مختلفة تفسرها عديد الآثار، وتشرح ظواهرها، بتنوعها وتباين أشكالها وراثتها عبر مختلف المناطق في الهند².

وتعد "أسفار الفيدا"³ أهم مصدر لكشف الغطاء عن التراث الديني والثقافي والاجتماعي في الهند، و تحتوي هذه الأسفار "كتاب اليوبانيشاد" وهو أشهر المدونات لدى قدماء الهند، التي تحوي جزءا مهما من نصوص الحكمة والتعاليم، وحضت باهتمام الباحثين ومؤرخين، فيقول عنها شوبنهاور: "إنك لن تجد في الدنيا كلها دراسة تفيدك وتعلو بك أكثر مما تفيدك، وتعلو بك دراسة يوبانيشاد، لقد كانت سلواي في حياتي، وستكون سلواي في موتي، فلو استثيت النصف التي خلفها لنا "بتاحوتب" (المصري) في الأخلاق، لكانت أسفار اليوبانيشاد أقدم أثر فلسفي ونفسي موجود لدى البشر، ففيها مجهود بذله الإنسان دقيق ودءوب، يدهشك بدقته وما اقتضاه من أدب، محاولا أن يفهم العقل، وأن يفهم العالم وما بينهما من علاقة إن أسفار اليوبانيشاد قديمة قدم هومر، ولكنها كذلك حديثة حداثة "كانت"⁴، فهي نصوص جد مهمة في التراث الهندي القديم، تقدم نظرة واضحة عن تصورات الإنسان آنذاك.

¹ - ول وايريلديورانت: قصة الحضارة - الهند وجيرانها-، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تونس، مجلد 1، ج 3، ص 30 - 31.

² - محمد إسماعيل النّدوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، 1970م، ص 44.

³ - معنى كلمة الفيدا "معرفة"، فإذا قلنا "سفر الفيدا"، يعنى به "كتاب المعرفة"، و" الفيدات" يطلقها الهندوس على كل تراثهم المقدس، الذي ورثوه عن أولى مراحل تاريخهم، ولم يبق من الفيدات إلا أربعة أسفار؛ "سفر رج فيدا" أو معرفة ترانيم الثناء، و"سفر ساما فيدا" أو معرفة الأنغام، و"سفر ياجور فيدا" أو معرفة الصيغ الخاصة بالقرايين، وأخيرها "سفر أتارفا فيدا" أو معرفة الرقى السحرية (ول ديورانت: قصة الحضارة - الهند وجيرانها-، مجلد 1، ج 1، ص 38)

⁴ - ول ديورانت: قصة الحضارة - الهند وجيرانها-، مجلد 1، ج 3، ص 43 - 44.

عرفت على أرض الهند عديد الديانات والمعتقدات، أبرزها الديانة الهندوسية أو البرهمية، والديانة الجينية، والديانة البوذية، فالديانة الهندوسية من أقدم الديانات التي ظهرت في أرض الهند، وتستند إلى عبادة قوى الطبيعة والإحيائية، وكانت هذه المعتقدات منسجمة مع طبيعة المجتمع الهندي، وصارت الآلهة حماة الملك والنبلاء، واستخدم الكهنة فكرة التقمص لدعم انتقال الروح إلى جسد إنسان يتمتع بوضع اجتماعي رفيع إلى هذا الحد أو ذلك يتعلق بسلوك الدفين، كان العامل نفسه هو المسؤول عن النير الذي يلحقه وعن الشروط السيئة في حياته¹، وهو ما يعرف بعقيدة "تناسخ الأرواح".

يعتقد الهندوس أن براهما روح العالم، وإرادته جاءت جميع الكائنات، فصار براهما هو الخلق نفسه لأنه خارج منه، كما عرفت الهندوسية طبقة في بين الناس حسب خلقهم المنسوبة إلى براهما حسب أساطيرهم، ولذلك نجد البرهمية نبت على نظام الطبقات، وسمو شخصية الملك، وأبدية النظام الاجتماعي القائم المبني على نظام الفئات، فالإله الأعظم براهما خلق الفرق الأربعة، فخلق البراهمة من وجهه، والكاشترا من ذراعه، وخلق الوشيا من فخذه، وخلق الشودرا من رجله، وبناء على هذا الأصل الديني فإن النظام أصبح أبدياً، فهو من صنع براهما، ولا سبيل لإزالته ويبقى هذا الوضع لأي شخص من أي طبقة².

تتسم العقيدة الهندوسية بميوها لتعدد الآلهة، فعبدوا شتى أنواع الظواهر الطبيعية، كما عبوا الأسلاف، وتقديس الملك وجد القبيلة، لينتهي الهندوس لعبادة ثلاث آلهة كبرى، وجعلوها ثالوثاً مقدس وهي:

الإله براهما: في صورة الخالق.

الإله فشنو: في صورة الحافظ.

1- ف. دياكوف و س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج1، ص 212

2- أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، ص 61.

الإله سيفا: في صورة الهادم والمدمر.

من بين أهم معتقدات الهندوسية إيمانهم بالكارما "karma"، ومعناها قانون الجزاء أو العدالة، وتعني أن جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شرا كانت أم خيرا، يجازي عليها بالثواب أو العقاب، وهذا الجزاء يكون في الحياة، فإن لم يقع هذا في الحياة، يقع في الحياة الأخرى بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر¹، وقد يصل الإنسان الهندوسي إلى مرحلة الانطلاق أو الخلاص، "Nirvana"، والتي تعني اعتناق الروح من الجسد واتحادها بالإله براهما، ويكون ذلك بالعمل الصالح والجيد، الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقته وهي عقيدة تناسخ الأرواح، حتى يصل إلى أعلى الطبقات، ويستمر بعمله الصالح لتتولد روحه بعد ذلك إلى الاتحاد مع البراهما². وهو ما يسمى وحدة الوجود التي تعني في العقيدة الهندوسية أن كل شيء منبثق من الإله براهما ويعود للاتحاد بالبراهما.

¹ سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص 85.

² سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة - العقائد-، ج 2، ص 101-103.

الديانة البوذية:

البوذية من أكبر الديانات الوضعية والفلسفات في العالم، ظهرت قبل حوالي 2500 سنة في شمال شرقي الهند، وانتشرت في معظم أنحاء العالم، وعبرت شمالا عن طريق جبال الهمالايا إلى الصين والتبت وكوريا واليابان، وفي الجنوب وصلت إلى سريلانكا وتايلاند وبورما وكمبوديا وفيتنام¹.

الحكمة الهندية الرفيعة التي قل مثيلها في العالم بسموها وشمولها ومعرفتها العميقة بطبيعة البشر، فقد اتصفت الهند بتعدد الصالحين، والنسك الداعين لإصلاح النفس وتطهيرها من الأدراں والرذائل، ناهيك بأن الحكماء الراشدين كانوا يتوافدون باستمرار، يعلمون الناس الحكمة، والرشد والطرق المؤدية إلى الخلاص والتحرر، من بينهم "بوذا" وكان من أبناء البشرية الأفذاذ الذين لا ينكر أثرهم في السير الحضاري للإنسان، وفي التاريخ الفكري للعقل والأمم²، واسمه الحقيقي "سيدارتا غاوما" ولد على حدود الفاصلة بين الهند والنيبال، وكان والده حاكما على مملكة صغيرة، تربى الأمير في رعاية والده وعاش حياة باذخة وناعمة، حتى بلغ سن التاسعة والعشرين، أخذ يتدبر أمره وتبين له كم كانت حياته فارغة ومن غير معنى، فقام بترك الملذات الدنيوية، وذهب يبحث عن الطمأنينة الداخلية وحالة التيقظ، والاستنارة محاولا أن يخرج من دورة التناسخ... حسب المعتقدات الهندوسية، وفي أحد جلسات تأمله بلغ حالة الاستنارة وأصبح بوذا: أي "المتيقظ" أو "المستنير"³

وهنا ظهرت بعده على يد أتباعه العقيدة البوذية، هي طريقة خاصة في العبادة، ليست فلسفة ولا علما، بل هي دعوة إلى الترفع عن الشكليات، وجمود الطقوس ورتابتها، وابتعادها عن جوهرها وماهيتها الحقيقية، فكلما سما الدين وتعمق إيمان

1- علي مولا: الموسوعة البوذية، ص 8.

2- علي زيعور: الفلسفة في الهند - قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصين-، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 192.

3- علي المولا: الموسوعة البوذية، ص 6.

المتدين، وسلم سلوكه من الحرفية، أصبح أقرب إلى التصوف والروحانيات، وأبتعد عن القواعدية المرسومة، والخطاطات المنحطة، والحركات الجسدية وغيرها من الحسيات الرتيبة والمتكررة، فالبوذية هي نظام حياة يملأ القلب وداعة ونعمة، ويفعم النفس محبة وطهرا، ويشرق على الذات فيضا من الروحية، ونداءات إلى التجاوز الخلقي أو التسامي، وغايتها تحقيق تلك الحالة النفسية المترتبة¹، وهي أسمى ما ترمي إليه القيم الروحية من صفاء النفس وطهارتها.

كانت دعوة بوذا منصبة على إلغاء الطبقات الاجتماعية التي نصت عليها البرهمية، واحترام الحياة والمحبة الشاملة، وقد ترك بوذا مجموعة وصايا تجسد فلسفة الحياة، أمر بإتباعها (لا تقتل، لا تخن، لا تزن، لا تكذب، تجنب الخمر)، فنلاحظ أنها تشترك مع مختلف الدساتير الأخلاقية التي عرفتها البشرية، بيد أن في هذه يأتي النهي عن القتل في مقدمة هذه السنن، فبوذا يرى في الحياة، نفحة قدسية، فأى صورة من صور المساس بها أكبر الآثام، فكما أنت حي فالآخرون مهما دنت مرتبتهم في سلم الكائنات أو علت أحياء أيضا، ومن أهم تعاليم بوذا أيضا نبذ كل التفرقة لأنها سبب الأنانية سبب العدا والاشقاء والحروب الدينية والأخوية والاقتصادية والاجتماعية.

فكانت البوذية لها نظرة إصلاحية أكثر منها فلسفة اقتصادية تقوم على أسس صافية من صفو النفس، وأولى السنن والعقائد التي أرادت البوذية ترسيخها عقيدة الأخوة العالمية، وعلى أساسها حرمت الخيانة، فتكلف المريد المعتقد للبوذية كدين، أن يقسم بآلا يستولي على ما ليس له فيه حق.

من جملة ما نصت عليه فلسفة بوذا أيضا تحريم الاعتداء على النفس البشرية بالقتل أو الإيذاء بالسرقة، وأخذ ما ليس من حق الفرد، وحثت البوذية على قيمة الصدق، وحرمت الكذب وقول الزور، في أي صورة من صوره، وأمرت الفرد بقول

¹ علي زيعور: الفلسفة في الهند، ص 193.

الحق، وأن يكون إنسانا واقعيا يقول الحقيقة في كل الأحوال، ولا يخدع أخوه إنسان، ومنها قول بوذا: «لا تسمع شرا، ولا ترى شرا، ولا تتكلم شرا»¹، وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وفاته في عام 470 ق.م.²

أدرك بوذا قيمة الطريق الوسط، لتحقيق السعادة الروحية: "هناك طرفان يجب على كل من يريد أن يحيا حياة روحية أن يتعد عنها، أحدهما حياة اللهو وهي وضعية تافهة ومخالفة للعقل، والآخر حياة الزهد والحرمان وهي كثيبة لا طائل تحتها، والحكيم من يكتشف الطريق الذي يمر بين هذين الطرفين، وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل، ويؤدي إلى النرفانا أي إلى الطمأنينة والسلام"³، فنجد فلسفة بوذا تتلخص في قيمتين روحيتين "الحب والسلام"، السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، وعلى الإنسان أن يعمل لإزالة الشر بالخير، فالكراهية يستحيل أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب.

¹ - أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، ص 71 - 74.

² - سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة - العقائد، ج 2، ص 116.

³ - محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2000م، ص 25.

المحاضرة الثامنة:

ديانة بلاد المغرب القديم:

تعتبر بلاد المغرب القديم من حيث الموقع الجغرافي كونها تعتبر حلقة ربط بين الحوض الغربي للمتوسط والحضارات التي نشأت في المنطقة الصحراوية جنوبا، ذلك لأنها تعد رابطة بين الحضارتين الإفريقية والبحر متوسطة المثلثة في الاغريقية والرومانية والشرق القديم، ولذلك تعد المنطقة المغاربية ملتقى الحضارات للمناطق المحيطة بها، ولذلك كان لهذه الاتصالات التي امتدت عبر التاريخ أثرها البالغ في تاريخ المنطقة.

لم تكن مهمة الانسان المغاربي بالمهمة السهلة خلال فترة ما قبل التاريخ، بل كان المحيط الذي يعيش فيه معاديا له في كل شيء ابتداء من كسبه لقوته اليومي وحتى امته وسلامته الذين كانا معرضين للخطر في كل لحظة، ورغم ذلك استطاع ذلك الانسان رغم امكانياته المحدودة أن يتصدى لتلك الصعاب التي تواجهه.

ولقد كانت البيئة المغاربية متميزة بصعوبة تضاريسها وغطائها النباتي لذلك نجد الإنسان التجأ إلى الكهوف والمغارات ليتخذ منها سكنا في بداية الأمر، ثم تجمع بعد ذلك حول البحيرات والعيون والواحات، وقد كانت حياته في تلك الفترات معتمدة على الصيد والجمع والالتقاط ولمحاكات لمظاهر الطبيعة التي تحيط به¹.

¹ محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ج 1، ص 10.

الفكر الديني والعبادات في المغرب القديم:

إن الدراسات الأولى حول بذور الفكر الديني والمعتقدات في المغرب القديم، نجده يتمحور حول ملاحظات في أربعة عناصر متكاملة فيما بينها محلية وخارجية، يتصدرها الأصل المحلي، ثم التأثيرات المصرية، وكذا الامتزاج السامي الكنعاني اللوي خلال الفترة البونية، إضافة إلى تأثيرات الديانة الوثنية الاغريقية - الرومانية.

الديانات المحلية:

لا يستبعد أن تعود الأصول الباكورة للديانة المحلية المغاربية إلى العصر الحجري القديم الأوسط، حيث عثر في موقع "القطار" الواقع شرقي قفصة بتونس على كويرات حجرية شذبت بطريقة معينة تتوسط الموقع الأثري، يمكن أن تكون قد أعدت للعبادة، أو على الأقل للتقرب للآلهة، وهي تعاصر الحضارتين الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا. ويمكن أن يكشف لنا هذا الموقع بداية اعتناء الانسان في ذلك الوقت بالجانب المعنوي، مع الظروف الصعبة التي كانت تهدد حياته، فحاول التقرب من خلالها للظواهر الطبيعية لدفع الأرواح الشريرة التي تقف امام راحته واستقراره واطمئنانه¹.

من بين أيضا أشكال التدين البدائي والمحلي لدى الانسان المغاربي القديم بعض طقوس استدرار المطر، والاعتقاد أن عقاب الآلهة يكون بالجفاف، ولذلك يحاولون إظهار ضعفهم وخضوعهم أمام قوة تلك الآلهة التي تسكن السماء والأماكن العليا مثل قمم الجبال، ولذلك من طقوس تلك الجماعات البشرية أن يخرجوا في جماعات إلى الهواء الطلق ليعبروا عن رغبتهم في استدرار المطر، بطرق مختلفة وطقوس متنوعة.

ومن حفلات وطقوس استدرار المطر التي يصفها الإثنوغرافيون والتي حافظت على وجودها "حفلة بوغنجة" والتي تعني ملعقة في اللهجة الأمازيغية، وهي كما

¹ محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عن مليلة، الجزائر، ص 11.

يصفها أحد المعاصرين الأوربيين أنه عند حدوث الجفاف تجتمع العجائز مرفوقات بالأطفال، ويحملن ملاعق كبيرة مكسوة بالأقمشة والجلود فتتول بذلك إلى دمية كبيرة وهن يرددن أهازيج يطلبن فيها استدرار المطر.

وفي أثناء السير يلتحق بهم أخريات وتقدم لهم الهدايا من دقيق وزيت ولحم، ويتم تحضير الطعام عند مزاراة أو ضريح وتتبعها عديد الطقوس والألعاب الجماعية¹.

كذلك مما عرف عند الانسان البدائي تقديسه للمياه لأهميتها لحياة الانسان والحيوان والنبات، وفي شمال افريقيا تحديدا كان تقديس المياه أمرا متوقعا لطبيعة المناخ الجاف الذي تمتاز به المنطقة، وتصل حد الندرة أحيانا مما جعل المياه مقدسة منذ أقدم العصور. ولذلك عبر الانسان المغاري عن حاجته إليها واستداراها بطرق مختلفة، فيما يخص المياه التي أخذت شكل منابع وآبار فقد اعتبرها إنسان المنطقة سكنا للمقدس، ولذلك كانت الكثير من الابتهالات تقدم للتضرع للمياه، وما ظاهرة الآبار المقدسة حاليا في بعض مناطق بلاد المغرب القديم إلا امتداد لاهتمام ديني قديم بها².

كما انتشرت في المغرب القديم عبادة الشمس والقمر، وجاءت إشارة إليها عند المؤرخ الإغريقي "هيرودوت": "... ما عدا قبائل النسامون الذين يستقرون حول بحيرة تريتون أي خليج السيرت الصغير، وقبائل الأترن الذين كانوا يلعبون الشمس التي تؤذيهم" أما بقية الليبيين فكانوا يعبدونها ويقدمون لها الأضاحي بطريقة وصفها هيرودوت كذلك: "... حيث كانوا يقصون للأبكار من القطيع جزءا من أحد أذنيها ثم يرمونه ما بين كتفي القربان الذي تلوى رقبته ثم يضحى به بعد ذلك للشمس..." وهذا بهدف دفع الأرواح الشريرة ونمو القطيع، وللإشادة بإله الشمس الذي يبعث الدفء والحياة والحركة في تصور الانسان القديم من الارتباط بفصول الزراعة والحصاد

1- المرجع نفسه، ص 12-14.

2- محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، ص 17-18.

في تداولهما ودورها في تخصيب الأرض بأشعتها الحارة، فهي بمثابة المقدس الذي نفخ الحياة في كل شيء في هذا الوجود.

كما أشار ابن خلدون في القرن الرابع عشر بعد الميلاد إلى انتشار عبادة الشمس بين بعض القبائل البربرية حيث استمرت تعبد هي والقمر إلى جانب الديانات السماوية الأخرى لا سيما المسيحية واليهودية.

وحول عبادة القمر عثر في القرن الثالث بعد الميلاد في كتابات ترتليان على إشارات إلى ثلاثة آلهة قمرية منها "فارسوتينية" المورية التي كان يعبدها الأفارقة الذين لم يترمونوا، كما كان للقمر مكانة خاصة في الطقوس التي أثبتها السحر، والتي استمرت تمارس حتى وقت متأخر، وهو ما دفع ببعض المؤرخين إلى اعتبار عبادة القمر أكثر انتشارا من عبادة الشمس عند البربر¹.

من العبادات المحلية التي انتشرت بين المغاربة القدماء أنهم كانوا يقدسون الكهوف والمغاور التي كانت تأويهم حيث رسموا في جوانبها العميقة والمظلمة مستعينين على ذلك بإشعال النيران، وفي كثير من الأحيان كانت الأماكن المتوغلة في الكهوف تحمل رسوما حيوانية و آدمية حبسا على الكهنة الذين يسهرون على المحافظة على تلك الرسوم وتقديم الولاء لها بدلا من البشر العاديين.

ولم تخصص الكهوف المغاربية للسكن والرسوم على جدرانها فحسب، بل دفنوا أيضا موتاهم في أرضيتها، وقد أشار المؤرخ الإغريقي "هيروdot" أنه كان من عادة المغاربة القدماء النوم على قبور الأشخاص الذين كانت لهم مكانة اجتماعية محترمة أثناء حياتهم، مثل رؤساء القبائل والكهنة، وكل حلم يتراءى لهم أثناء نومهم على تلك القبور يأخذونه مأخذ الوحي، ويعملون به ويحتكمون إليه.

ولا يستبعد أن تكون فكرة بناء الأضرحة الضخمة والمعابد التي كانت قد شيدت للملوك والأمراء النوميديين فيما بعد قد انطلقت مما أشير إليه سابقا وبذلك

1- المرجع نفسه، ص 19- 20.

كانت محلات للعبادة والتقديس من قبل الأحياء أكثر منها مقتصرة على الدفن فقط، وقد تمثلت أشهر تلك الأبنية في الضريح الموريطاني بالقرب من تيبازة بوسط الجزائر، وإمدراسن والصومعة بالشرق الجزائري وضريح دوجة بتونس.

ويبدو من عديد الإشارات أنّ المغارات والكهوف كانت محل تقديس من طرف السكان المحليين الذين اتخذوها أماكن للعبادة، ونظروا إليها بخوف واحترام، وقد يرجع ذلك أنّها في نظرهم مسكن للآلهة، أو لأن عمق المغارة في رحم الأرض يسمح لهم بالاتصال مع الإله تحت الأرض، وربما مع الإله الأعلى. فحسب القديس أوغسطين فإنّه كان بعض المعاصرين له يعتقدون أنّهم يكونون أقرب إلى الله عندما يغوصون في باطن الأرض¹.

¹ - محمد الصغير غانم: الملامح المبكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، ص 11-27.

عبادة البشر والطقوس الجنائزية:

عرف عند المغاربة القدامى أشكالاً مختلفة من عبادة البشر، ومنها تأليهم للملوك، وهذا أحدث جدلاً تاريخياً واسعاً بين المؤرخين، لنقص الوثائق التي تبين ذلك، وتعود الوثائق الأولى التي توضح ما عرف بتأليه الملوك والحكام عند الشوب القديمة في شمال إفريقيا إلى القرن الثالث قبل الميلاد، بحيث عثر على نقيشة دوجة الثانية على نص إهدائي بالقرب من الضريح الذي شيد في السنة العاشرة من حكم الملك "مسييسا" ابن الملك "ماسينيسا" وقد كتب بالبنونية والليبية، استنتج منه المؤرخون أنه يشير إلى تأليه النوميديين للملك ماسينيسا، ولكن على العكس فهناك من رأى أن النص لا يشير إلى تأليه للملك، بل إن الضريح لم يأخذ صفة القداسة إلا بعد أن بدأ السكان بتمجيد روح صاحبه الميت من خلال الزيارات والأعطيات والتجمع حوله، وتتجاوز التي يتلقاها الأموات العاديون.

كما تم العثور على عدة نقوش إهدائية كتبت باللغة اللاتينية تعود إلى الفترة الرومانية، تتضمن تأليه بعض ملوك البربر، مثل "غلوسة" و "هيمبسال" و "يوبال الأول".

ولقد تباين آراء المؤرخين حول عبادة الملوك النوميديين وأسبابها، وخاصة أنها نشأت مرتبطة بالملك "ماسينيسا" حيث رأى المؤرخ "س. جزيل" أن ماسينيسا أنشأ هذا التقليد وذلك بإعطاء الطابع الإلهي لنفسه لأجل تعزيز سلطته السياسية، كما فعل الفراعنة في مصر، ثم الأباطرة في روما، وعلى غرار ذلك فقد سار الملوك النوميديين، إلا أنه بالاستناد إلى أدلة وشواهد تاريخية يستبعد هذا الطرح، ذلك أن تاريخ بناء ضريح دوجة كان بعد موت ماسينيسا بعشر سنوات مما يدل على أن عبادته كانت قد حدثت من قبل النوميديين بعد موته¹.

1- محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، ص 30 - 36.

كما عرف عند المغاربة القدامى أنه حظي بعض الأفراد خاصة الأموات بنظرة مميزة، وذلك من خلال جملة من الممارسات التي سجلها الكتاب القدامى أو النقوش والعمارة الجنائزية، التي يكشف استقراؤها نوع من العبادة تتضمن التقدير والاحترام والمكانة المميزة، وإصاق بعض الصفات بهم كالقداسة والقدرة على النفع والضرر، وخاصة الأموات وما تلك الممارسات إلا نوع من الخضوع لهم وربط الصلة بهم¹.

أما الطقوس الجنائزية فتعد هي الأخرى مصدرا مهما لدراسة الجانب الديني بالمغرب القديم لانعدام الشواهد الكتابية المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ وفجره، لأنها شواهد مادية ترتبط بمفاهيم دينية التي يسمح الاطلاع على معتقداته، رغم أنها لا تعد كافية لإعطاء الصورة الكاملة والصحيحة حول المعتقد في تلك الفترات الغابرة في عمق التاريخ.

ونقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يدخل ضمن دائرة التعامل مع الأموات وطرق الدفن وكيفياته ووضعيته، إلى جانب الأثاث الجنائزي ومجموع الأعمال المتعلقة بهم، وقد عرف إنسان المغرب القديم أنواع عديدة من ممارسات الدفن وأنواع للقبور، وقد قسمها أحد المؤرخين إلى ثلاثة مجموعات أو شعوب مغربية معروفة هي : الجيتول، والموريون، والنوميديون. لكن الحدود بين أنواع الممارسات الجنائزية غير واضحة، فلا تنفرد منطقة بطقوس خاصة بها تماما، فالتنوع لا يخفي الوحدة².

العبادة الطوطمية في المغرب القديم:

لقد قدس إنسان المغرب القديم عديد الأنواع والمعبودات الطوطمية، كانت أبرزها تختص بعبادة الحيوانات ومن أبرزها عبادة الكبش، الذي قدسه المغاربة القدامى وهو ما تكشفه لنا النقوش والرسومات الصخرية، ونجد بعض النقوش والرسومات لكبش وعلى رأسه دائرة لعلها تشير إلى قرص الشمس، وقد توافرت رسوم الكبش

¹ - المرجع نفسه، ص 37-38.

² - محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، ص 39-41.

المغربي في كل من جنوب الغرب الوهراني في "بوعلام زناقة" و "قصر زكار" و كذا الجلفة " في عين ناقة والصافي بورنان" وأيضا في منطقة أفلو بالأغواط. يضاف إلى ذلك ما وجد في مناطق الشرق القسنطيني مثل "حنقة بوحجار" و "كهف تسغة"¹.

كما عبد المغاربة القدامى الثور، والذي قدسه اللييون ، إلا أن انتشار عبادته كام أقل من عبادة الكبش، وتعود عبادته إلى ما قبل التاريخ وظهر ذلك من خلال رسومات الثيران التي وجدت منها البسيطة الموجودة في "تازورق" بالهقار، وفي سيلة. وأخرى ذات القرص المجسد على الرسوم والنقوش الصخرية ب "فزان" و "التبستي" و بالطاسيلي "ناجر" و جبال "أولاد نايل" والشرق القسنطيني².

عرف أيضا عند إنسان المغرب القديم عبادة القردة، التي أشار إليها ديودور الصقلي الذي عاش في القرن الأول الميلادي إلى انتشار هذه العبادة في المنطقة الممتدة غرب قرطاجة، وقد تعددت مظاهر تقديسهم للقردة منها أن ثلاثة مدن تحمل أسماء مأخوذة من كلمة "قرد" في اللغة اللاتينية، كما كان الآباء يختارون لأبنائهم أسماء يستمدونها من أسماء القردة تبركا بهم، وكانت تعيش بينهم ويعتبرونها آلهة يسترضونها بالطعام، بل إن من يعتدي عليها بالقتل فهي تعد جريمة يجازى عليها مرتكبها بالموت³.

كما عرف عندهم تقديس وعبادة الأسد كأقوى الحيوانات المتوحشة الإفريقية، ووجدت عديد الرسوم والنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي والشرق القسنطيني مثال ذلك كهف المصاورة بسدراتة ، كما تزين صوره القبور الملكية مثل الضريح الموريطالي قرب شرشال، وغيرها من المناطق.

¹- المرجع نفسه، ص 52- 54.

²- المرجع نفسه، ص 55.

³- المرجع نفسه، ص 56.

نجد كذلك رسوم ونقوش للشعابين أو الحية كواحدة من الحيوانات التي حظيت بالاهتمام والعبادة عند بعض القبائل الليبية¹.

كما عبد المغاربة القدامى مختلف مظاهر الطبيعة كالحجارة ، وكذا تقديس الجبال والتي مثلت العبادة الطبيعية الأولى إلى جانب الكهوف بالمغرب القديم، كما عبدوا الأشجار والنبات ، التي يعتقد أن الأشجار تعتبر سكنا للمقدس، وهنا نلاحظ ما ذكره حول هذا الموضوع "أرنوب" في القرن الرابع الميلادي ببعض الممارسات التي شهد السكان يمارسونها، فقد كانوا يربطون خيوطا وخرقا إلى بعض الأشجار وكان هدفهم ممارسة طقس تعبدي الذي يمثل طرد الأرواح الشريرة، واستمرت هذه الظاهرة حتى عصرنا الحالي في عديد المناطق بالمغرب العربي².

¹ - محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا ، ص 60 - 62.

² - المرجع نفسه، ص 64 - 73.

المعبودات الأجنبية الواردة إلى المغرب العربي القديم:

كان المغرب العربي القديم رابط تواصل وتلاقى بين الحضارات التي سادت منذ القدم، وهذا للتماس الجغرافي بينه وبين الشرق الأدنى القديم وحضاراته خاصة الحضارة المصرية، أو بينه وبين الحضارات الوافدة إليه من الفينيقيين والإغريق والرومان وغيرها، وهو ما أثر على الديانات التي كانت انتشرت في المغرب القديم، وتأثر بها أهل المنطقة.

فأول ما نجده انتشر في بلاد المغرب القديم الأساطير والمعبودات المصرية الوثنية القديم، ويأتي "الإله آمون" على رأس الآلهة التي احتك بها المغاربة القدماء، ويرمز له بكبش يعلوه قرص الشمس، وهو من أشهر الآلهة الكونية لمصر القديمة والصحراء الجزائرية، حيث وجدت له رسوم صخرية في الصحراء.

كما نجد عبادة الإلهة "إيزيس" انتشرت في ليبيا، كما عثر في النصوص البونية بقرطاجة على كتابة رسم الإلهة "إيزيس" وهناك من القرطاجيين من سمو أبناءهم عبد إيس تيمنا بالإلهة إيزيس المصرية التي يعتقد أنها كانت ترعى النساء والحب والزواج.

انتشرت في المغرب القديم كذلك عبادة الإله "آتون" وهو إله مصري يتمثل في قرص الشمس، ويعتبر من آلهة تل العمارنة الذي انفرد له أخناتون (أمنوفيس الرابع) بالعبادة تحت اسم "الإله آتون رع"، كما نجد عبادة الإله "ست" والإلهة "حتحور"¹.

كما تأثر سكان المغرب القديم بالأساطير والمعبودات الفينيقية البونية، ونجد بعض أسماء الآلهة الفينيقية التي انتشرت عبادتها في المغرب القديم، مثل "الإله بعل حامون" وهو في شرق المتوسط "سيد جبل الأمانوس" في لبنان، وقد كان يحتل بلا منازع المكان الأول في مجمع الآلهة الإغريقية - الرومانية القرطاجي في المدينة الأم قرطاجة عاصمة البونيين.

1- محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، ص 78- 84.

كما تصدر اسم الإله "بعل حامون" كثيرا من النصب في قلمة، وعين النشمة، وتيديس، وهيبون، ثم دلس وتيبازة وشرشال، وكل تلك النصب تعود إلى فترة المملكة النوميديّة. وغيرها من الآلهة الفينيقية الأخرى مل "الإلهة تانيت، الإله بعل إيدير، الإله "ملقارت" الإله أشمون، وهي آلهة كلها كانت مركز عبادتها في المدن الفينيقية بلبنان، في جبيل وصيدا، وغيرها...

أما المعبودات الإغريقية فهي كذلك انتقل إلى الشمال الإفريقي ونجد منها "الإله زيوس" و "الإله بوسيدون" وقد عثر على رسوم له في "الخروب" بقسنطينة، و "الإله تريتون" ويذكر هيرودوت أن الليبيين بالقرب من بحيرة "تريتون" كانوا يقدمون القرابين للإلهين تريتونوبوسيدون، كما عبت "الإلهة أثينا" إلهة الحكمة والحرب والذكاء والفكر والفنون عند اليونان وقد عبدها الليبيون حول بحيرة تريتون وأقاموا لها احتفالات سنوية¹.

بالإضافة إلى المعبودات المصرية والإغريقية كان للمعبودات والآلهة الرومانية حضورا كبيرا وواسعا في المغرب القديم، وعبت عديد الآلهة الرومانية، نذكر منها "الإله ساتورن" وهو إله روماني قديم وتبدو عبادته في المغرب القديم استنساخا للإله البوني "بعل حامون" من حيث الوظيفة، ويلاحظ أنه وجدت له نصب تحمل رمزه، قرب مدينة جميلة الأثرية، (القرن 3 م)، وفي موقع "نقاوس" الأثري وللإشارة فإن الرومان أقاموا معابد في نفس الأماكن التي احتلتها الديانة "الليبو-بونية" والنوميديّة والموريتانيّة، وأقامت على أنقاضها عبادة الآلهة الرومانية في حركة سميت رومنة بلاد المغرب القديم.

ونجد عديد الآلهة الرومانية الأخرى التي انتشرت عبادتها في المغرب القديم ، منها الإلهة كايستيس "إلهة الخصب والأمومة وكانت منتشرة في قرطاجة، و " الإله إيسكولاب" وقد عثر على تماثيله في قمتي بيرصة بقرطاجة و "حيدرة" بالقرب من

1- المرجع نفسه، ص 86 - 108.

تبسة في الجزائر، كما عبد "الإله جويتر" وهو أقدم الآلهة الرومانية، و "رب الأرباب" والبشر والضوء والسماء والنور، وغالبا ما يتحد في العبادة مع الإله ساتورن الذي هو استنساخ للإله بعل حامون القرطاجي في إفريقيا الرومانية، وزيوس الإغريقي، وقد عثر على اسمه في عديد النقوش في المواقع الأثرية بشمال إفريقيا. وعديد الآلهة الأخرى "الإله ديانا" (عثر على تماثيل لها في تبسة وزانا في الجزائر)، "الإلهة فنوس" و "الإله مارس" و "الإله مينرفا" و "الإله مركور" (عثر عليه في موقع "عزيز بن تليس" (قسنطينة) وموقع مدينة سطيف، "الإلهة جونون" و "الإله أبولون"، "الإله باكوس" وقد عثر عليه في كامل المدن الرومانية: خنشلة، لمبار، جميلة، ثاميقادي، وغيرها من المواقع والمدن الرومانية في الجزائر، وكذا نصب "الليس" بتونس¹.

الإله نبتون، إله البحر عند الرومان، وعبد في سواحل القل وبجاية كإله البحر، وفي المناطق الداخلية القسنطينية والتونسية كإله الينابيع والمياه الجارية، والإله "ديونيسوس" "إله الخمر" ووجدت له تماثيل في المواقع الأثرية بتبسة، والمدن الفينيقية لمنطقة "السيرت" ومدن السواحل الجزائرية القديمة الحالية، "الإله سيراس" وانتشرت عبادته في صقلية ثم انتشرت في قرطاج، ثم نوميديا الشرقية. كما عبد "الإله بلوتون" ووجدت تماثيله في "فولويليس" وقرطاج وكانت تقدم له في شمال إفريقيا الأضاحي الحيوانية.

وهكذا يمكننا القول أن مجال عبادة الآلهة الرومانية في شمال إفريقيا كان يشمل الرومان الذين حلوا في المنطقة كمعمرين والمغاربة الذين ترومنوا، وكذلك الأفارقة الذين تأثروا بسياسة الرومنة دون أن يستطيعوا مقاومتها، ضف إلى ذلك بقايا المعبودات المحلية التي تدخل في الموروث الحضاري الليبي-نوميدي².

1- محمد الصغير غانم: الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، ص 110-126.

2- المرجع نفسه، ص 128-130.

هذا التنوع الديني والقائي منح لسكان المغرب القديم تنوعا حضاريا سواء من المعبودات المحلي أو من المعبودات الوافدة، حي شكلت منطقة المغرب القديم تعاقب الحضارات على أرضها وكان عامل التأثير والتأثر حاضرا بقوة في المجال الديني لدى الانسان المغاربي القديم.

المحاضرة التاسعة:

الديانات السماوية:

الديانة اليهودية:

تعريف لفظ " اليهودية " .

تدور معاني اليهودية في اللغة على التوبة والرجوع والعمل الصالح.

جاء في لسان العرب: أن " اليهودية " لفظ مشتق من الهود: أي التوبة، هاد يهود هوداً. وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وقوم هود: مثل حائل وحول وبازل و بزل. و التَّهَوُّد: التوبة والعمل الصالح.

و يهود: اسم للقبيلة، وقالوا " اليهود ": فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين، ومنه قوله تعالى: " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ " [الأنعام:146].

و الهود: اليهود هادوا يهودون هوداً، وسميت " اليهود " اشتقاقاً من هادوا: أي تابوا وأرادوا باليهود اليهوديين. وهود الرجل: أي حوله إلى ملة يهود.¹

أما اليهودية اصطلاحاً: فقد عرفها " معجم الإيمان المسيحي " على أنها:

" مجمل مؤسسات إسرائيل الدينيّة، بما فيها الجماعة المرتبطة بها، بعد العودة من الجلاء.

بالمعنى الحضري: شريعة موسى التي تطبّق بحسب التقليد الرباني.

1 - ابن منظور، لسان العرب: ج 3، ص 439

بالمعنى العصري: الدين اليهودي، أحد الأديان التوحيدية الكبرى الثلاثة، إلى جانب المسيحية والإسلام.¹

وعرفها "عبد الوهاب المسيري" بقوله: "يشير اليهود إلى عقيدتهم بكلمة "توراة". أما مصطلح "اليهودية" فيبدو أنه قد ظهر أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم. وقد سلك هذا المصطلح "يوسيفوس فلافيوس" ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا، مقابل "الهيلينية" أي عقيدة أهل "هيلاس" "Hellas" وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهما.

أما الأصل العبري "يهדות"، فيعود إلى العصور الوسطى.

وقد أصبحت كلمتا "يهودية" و "توراة" كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما. فمصطلح "اليهودية" يؤكد الجانب البشري، بينما يؤكد مصطلح "التوراة" الجانب الإلهي.²

اليهودية من بين الأديان السماوية، التي يؤمن أتباعها، بأنها منزلة من الله إليهم على أنهم شعبه المختار، تأسست على يد موسى (عليه السلام)، فهي من الديانات التي امتدت جذورا عبر تاريخ طويل، حافل بالمحطات التاريخية المتنوعة، التي كان لها كبير الأثر في بناء البنية الدينية، العقيدية والتشريعية للديانة اليهودية، فكان ذلك الارتباط الوثيق بين التاريخ والعقائد الدينية اليهودية.

قد كان التاريخ البشري شاهدا على تقلبات عنيفة مر بها اليهود، تركت أثرا كبيرا على اليهودية كدين، فمن الحياة البدائية البسيطة الآمنة، القائمة على القرابة والنزاعات العشائرية ووحدة الدينية- قومية، إلى حالة التشتت والضياع، والتواجد في

1 - حمودي صبحي و كوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994، ص 550

2 - عبد الوهاب المسيري: ج 5، ص 2

أغلب أقطار العالم، كشعب ليست له أرض ولا دولة، ولا هوية ثقافية أحياناً أخرى، وغيرها من العناصر المشتركة التي تحدد معالم الهوية التاريخية لأي شعب.

في اللغة العبرية نجد كلمة اليهودية " **judaïsme** " بل هناك كلمة " **yahdout** "، وهي الكلمة الأقرب في معناها إلى هذه الكلمة، والتي تعني " الشعب اليهودي " وبهذا فقد دلت كلمة اليهودية على من جاء من مملكة يهوذا إلى السبي البابلي.

كما يستخدم مصطلح اليهودية على بني إسرائيل كشعب، وإنما تعداه إلى الأرض التي يعيش فيها السكان، فاليهودية أيضاً اسم لقسم من فلسطين الذي سكنه العائدون من السبي البابلي، وسميت في العهد القديم ببلاد يهوذا.

أما اليهودية كديانة فهي في نظر المؤمنين بها ديانة توحيدية، كما أنها لا تتحلى في الأمور النظرية فحسب، بل هي مجموعة من القواعد التي تتجسد في الفكر والسلوك¹.

¹ عرفان عبد الحميد الفتاح: اليهودية - عرض تاريخي - والحركات الحديثة اليهودية، دار عمّار، الأردن، دار البيارق، لبنان، 1997م، ص 12.

المصادر المقدسة للديانة اليهودية:

أسفار العهد القديم: وهي تسعة وثلاثين سفراً ، أطلع عليه في العصور المسيحية القديمة اسم "العهد القديم، تفرقاً له عن العهد الجديد، إلا أن الاسم العبري للكتب اليهودية المقدسة هي "التناخ" (توراة، أنبياء، كتابات)، وتنقسم إلى:

التوراة: وهي كتب موسى عليه السلام، أو الأسفار الخمسة، وهي: التكوين، الخروج، العدد، اللاويين، التثنية. وتسمى باليونانية: البانتاتوك.

سفر التكوين: ويقص تاريخ العالم من الخلق وتكوين السماوات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب (عليه السلام) في أرض مصر، وتروي قصة آدم (عليه السلام)، ونوح (عليه السلام) لينتقل إلى ذكر نسل سام أحد أبناء نوح وهو الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل.

سفر الخروج: ويعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة موسى (عليه السلام) وخروجه مع بني إسرائيل، وتاريخهم في أثناء فترة التيه في صحراء سيناء، والتي استغرقت أربعين سنة.

وجزء من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات.

سفر اللاويين: وقد اهتم بشؤون العبادات وخاصة ما يتعلق بالأضحية والقرايين والمحرمات من الحيوانات والطيور، وقد نسب هذا السفر إلى اللاويين، وهم نسل لاوي لأنهم سدنة الهيكل، والمشرفين على شؤون الذبح والأضحية والقرايين في الشريعة اليهودية.

سفر العدد: ويتضمن إحصائية عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم.

سفر التثنية: واهتم بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات¹.

¹ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط1، 1964، ص 14-15.

أما القسم الثاني: وهو أسفار تاريخية وهي اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين.

أما القسم الثالث: وهي الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد، وهي أناشيد ومواعظ دينية وعددها خمسة أسفار.

القسم الرابع: وهي أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا، تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد موسى وهارون (عليهما السلام)¹.

أهم العقائد اليهودية: عقيدة الألوهية:

ينسب إلى موسى عليه السلام أنه أول من رسم لليهود السلطة التشريعية، وواضع أسس التشريع في التوراة التي كانت وحيا على النبي موسى (عليه السلام) ومن أبرز ما حوته التوراة في الجانب العقدي والتشريعي لليهودي الوصايا العشر، والتي نجدها في (التوراة) أسفار موسى الخمسة، وقد وردت في صيغتين إحداهما أكثر أصالا بالدين والعقيدة، وقد جاءت في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج، وأخرى أكثر اتصالا بالعادات والتشريع، وجاءت في الاصحاح العشرين من سفر الخروج وفي الاصحاح الخامس من سفر التثنية، وقد أوصت أولى الوصايا العشر بالتوحيد "لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور، إله غيور هو...، لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة..." وفي صيغة أخرى: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور"

ويسمى الإله في العقيدة اليهودية "إلوهيم" جمع "إلوه" وهي كلمة تدل على القوة، وورد في العهد القديم على صيغة "يهوه" وهو اسم لا يلفظه اليهود لتعظيمه، بل يلفظ "أدوناي"¹.

¹ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 16.

وقد نسب العهد القديم عديد الأوصاف للإله يهوه لا تليق بوصفه إله، وإذا قلنا صفحات العهد القديم نجد تصور اليهود للرب في مرحلة من مراحل تاريخ اليهودية لا تختلف كثيرا عن تصور الأمم الأخرى التي عاشوا بينها لأهتهم، رغم جهود الأنبياء لتنقية الفكر اليهودي من شوائب المعتقدات الوثنية التي دخلت لليهودية من أديان الشعوب الأخرى التي جاورها اليهود أو عاشوا بينها²، وهو ما جعل اليهود يقعون في الشرك في كثير من المراحل في تاريخهم.

النبوة والأنبياء:

تعني النبوة في اللغة العبرية الحدس بالأحداث التي تقع في المستقبل، فهي تعني الإخبار بإرادة الرب في شأن من شؤون الأمة أو الفرد، فالنبي حسب هذه الدلالة هو الشخص الذي يوحى إليه الرب بإرادته ليبلغها للناس. وكان اليهود يطلقون على النبي اسم (رأي) لأنه كان يرى أحدا المستقبل وينبئ بها³ (صموئيل الأول 9: 18).

وكان للنبي في المجتمع اليهودي مركز سياسي واجتماعي وديني مرموق، قبل أن يعرف اليهود الملكية، وقد امتاز اليهود بكثرة اليهود بينهم وهذا راجع لشركهم وابتعادهم عن التعاليم الأولى التي جاء بها موسى (عليه السلام) فكل مرة يظهر نبي يدعوهم للتوحيد وابعاد كل مظاهر الشرك التي ظهرت بينهم.

هناك فرق بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية يهودية قامت باغتصاب واحتلال فلسطين لذا علينا أن نبين معنى "الحركة الصهيونية" وعلاقتها باليهودية.

¹ محمد عبد المجيد بحر: اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 60، 2001، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 16.

³ عبد المجيد بحر: اليهودية، ص 25.

تعريف الحركة الصهيونية:

تعريف الحركة (Movement)

في لغة السياسة هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعاً، ومن أشهر الحركات العالمية : الحركة العمالية ، والحركة الفلاحية، والحركة النسائية، والحركة الطلابية، والحركة أكثر شمولاً وأقل تماسكاً وانضباطاً من الحزب، إذ يمكن أن تكون نقابة ، أو جماعة ضغط ، أو تياراً عريضاً ، أو حتى حزباً سياسياً، وقد تلجأ العديد من الأحزاب إلى وصف نفسها بأنها حركة لتوحي بتحررها من القيود العقائدية والانضباطية الصارمة المفروض توافرها في الحزب السياسي.¹

تعريف الصهيونية

جاء في معجم الإيمان المسيحي: " صهيون (Sion): في جبل صهيون، في الزاوية الجنوبية الشرقية لمدينة أورشليم، بين وادي قدرون ووادي تيريبين، كان موقع موقع اليبوسيين المحصنة، التي استولى عليها داود فأصبحت مدينة داود(2 صم 6/5-9). ما لبثت المدينة أن امتدت إلى التلال الغربية والشمالية المجاورة، فانتقل اسم الجبل إلى المدينة كلها، ولاسيما في أقوال الأنبياء والمزامير. من الناحية الشعرية، كانوا يسمون أحيانا سكان المدينة، ولاسيما النساء منهم، " بنت (بنات) صهيون"، ومن ثم، أخذت صهيون تجسد الشعب الإسرائيلي، فهي مسكن الرب ومسيحه وملتقى جميع الأمم في المستقبل[اشعيا 2:3]."² وقد عرفها الأستاذ نور الدين خليل في قاموس الأديان الثلاثة بقوله: "صهيون (في الكتاب المقدس): اسم التل الشرقي من تلّي

1-الكبالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج 2، ص 222-223

2 - حمودي صبحي و كوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994، ص 300-301

أورشليم القديمة، وموقع مدينة اليوسيين التي استولى عليها داود ملك إسرائيل ويهوذا. وأصل التسمية ومعناها يشوبهما الغموض، ويبدو أنها اسم كنعاني للتل الذي بنيت عليه أورشليم قبل عصر الإسرائيليين، و" جبل صهيون " اسم شائع ويدل على المدينة وليس التل نفسه.¹ ومما يؤكد أنها عبارة كنعانية ما ذهب إليه عيسى اليازجي وهو يعرف الصهيونية بقوله: "تشتق كلمة "الصهيونية" من "تلة صهيون" التي يزعم اليهود أنها المكان الذي بنى عليه "سليمان" الهيكل اليهودي في "أورشليم- القدس"، مع أن " صهيون" عبارة كنعانية تعني "المشمش الجاف".. إذ تتكرر هذه التسمية في مناطق مختلفة من الجمهورية السورية، فهناك "قرية صهيون" قرب بلدة "صافيتا"، و"قلعة صهيون" قرب مدينة "الاذقية".² علما أن كلمة "صهيون" تكررت في العهد القديم كاسم "لأورشليم" مائة واثنان وخمسون (152) مرة، منها ستة وأربعون (46) مرة في سفر أشعيا، وثمانية وثلاثون (38) مرة في سفر المزامير، ولم تذكر في العهد الجديد إلا سبع (7) مرات، خمس (5) منها اقتباس من العهد القديم.³

ويختصرها الباحث محمد علي باخرية كونها تأتي على ثلاث معان:

-أنها مدينة الملك الأعظم أي مدينة الإله ملك إسرائيل.

-هو اسم حصن سماه نبي الله داود ﷺ حسب ما جاء في التوراة في مدينة

القدس

-هو اسم جبل يقع إلى الشرق من القدس.⁴

1 - Nouredin Khalil :English /Arabic Dictionary of the Three Great Religions, - Judaism - Christianity - Islam, Horus International Institution for Publishing and Distribution, Alexandria, Egypt , 2007,p 816-817

2 - عيسى اليازجي :المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية،الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع،سورية- دمشق، الطبعة الأولى 2004،ص 36-37

3 - نور الدين خليل: المرجع السابق.

4 - محمد علي باخرية: الصهيونية بإيجاز- أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية- ، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2001، ص 14

مفهوم الصهيونية

أما مفهوم الصهيونية كمصطلح فيقال إن ناثال بيرنباوم¹ Nathan Birnbaum هو مبتكر تعبير "الصهيونية"، ويؤكد "إسرائيل كوهن" في كتابه أن هرتزل كان على جهل تام بكتابات من سبقوه، مثل موسى هس، و هيرش كاليشر Hirsch Kalisher، وليون بنسكر Leon Pinsker. وغيرهم من الذين كان عندهم هاجس العودة لصهيون إلا أنهم يفتقدون لتخطيط وتنظيم لتجسيد هذه الفكرة.²

فالصهيونية دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية تطالب بتجميع اليهود في دولة خاصة بهم في فلسطين.³ علما أن الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة كاملة لم تظهر بين عشية وضحاها، وإنما ظهرت بالتدريج، ففي كل مرحلة من المراحل كان يضاف عنصر جديد إلى أن اكتملت الصورة بشكلها النهائي مع صدور وعد بلفور، فجمعت الصهيونية الاستعمارية الوعديين معا لتحقيق كيانها على الأرض، وعد بلفور و وعد الرب المزعوم.⁴

1- ناثال بيرنباوم Nathan Birnbaum : ولد في فيينا سنة 1864، كان بارزا في شبابه، وكان عضوا مؤسسا لحركة الطلبة كديما (Kadima)، نشر سنة 1885 أول جريدة قومية صهيونية، شجع من خلالها تحقيق الحلم الصهيوني وهو الهجرة والإقامة في أرض إسرائيل. وعند ظهور هرتزل سرعان ما انظم للحركة الصهيونية وأصبح من أهم شخصياتها، حيث كان من المحضرين للمؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897. في سنة 1898 غادر الحركة الصهيونية دفاعا عن مبادئه وإيمانه بالدياسبورا، وجعل اليدشية كأساس للثقافة واللغة القومية لليهود، وبذلك انخرط في صفوف الحركة الأرثوذكسية اليهودية، وكان من الأعضاء المؤسسين لحزب أغودات إسرائيل، ثم صار زعيما ورئيسا له. أثناء الزحف والضغط الألماني بقيادة هتلر، غادر ألمانيا نحو هولندا حتى مات سنة 1937.

2- رجبنا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 96 ديسمبر 1985، هامش ص 21، وانظر أيضا إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط 2، 1988، ص 106-110

3- مسعود خولد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، 2004، ج 1، ص 364.

4- لمزيد من التفاصيل أنظر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبيني: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998، ج 1، ص 236-244 وكذا يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط 1 يناير 2004، ج 1، ص 328-335

كما يميز بعض الكتاب الغربيين بين الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية مع أنهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، والتاريخ اليهودي القلسم و ما فيه من أساطير تستمد منه الحركتان قوتهما. و هذا ما تؤكدته الكتابات اليهودية الفكرية و السياسية التي ترجع إلى القرنين 19 و 20 الملادين، و التي شرحت العلاقة "الأصولية الصهيونية" بمفاهيم العلاقة بين التاريخ اليهودي و العقيدة اليهودية من جهة، و الفكر السياسي اليهودي من جهة أخرى و على ذلك يمكن القول بأن مؤسس عقيدة هذه الأصولية هي الأسس الدينية التاريخية و التمييز العرقي، التي تشير إلى "أن ملكية العالم المادي هو من حق اليهود فقط كعنصر متفوق"¹، وهذا ما سنفضله في الفصول اللاحقة.

ويعرف محمد دياب "الصهيونية العالمية" بقوله: هي حركة ديناميكية نشطة تتميز بحفاظها على الترابط المستمر بين أهداف الماضي وأعمال الحاضر ومخططات المستقبل. ولقد قامت على فلسفة تستمد أصولها من الفكر اليهودي الذي يتغير حسب الظروف والأحوال. وهي حركة منظمة تنظيمًا مركزيًا عالميًا تستهدف استعمار أرض العرب وإجلائهم عنها من النيل إلى الفرات واستبدال أهلها بقوم من مختلف الأجناس في دولة إسرائيل تدين لها بالولاء وتمثل لأوامرها جماهير اليهود من رعايا الدول الأخرى"²

ويعرفها ندى الشقيفي بقوله: والصهيونية هي حركة سياسية تتغذى من الفكر الصهيوني الذي يجمع بين عقائد التوراة والخرافات الملفقة من قبل الحاخامات اليهود في التلمود. وتستمد الصهيونية قوتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينية وعرقية وعنصرية، لا تتغير أو لا تنسجم مع تطور المراحل ومتطلباتها الإنسانية، إضافة إلى

1 - يحيى أحمد الكعكي : في الأصولية الصهيونية ، الشركة العالمية للموسوعات ، بيروت 2004 ج1، ص 47_49

2 - محمود دياب: الصهيونية العالمية و الرد على الفكر الصهيوني العالمي، دار الكتب المصرية، 1976.

أطماع سياسية وعدوانية تتقوّل في إطار توطين أكبر عدد من "اليهود" في العالم في الأراضي العربية وإبادة وتشريد السكّان الأصليين لهذه الأراضي.¹

واعترض الباحث الطيب بوعزة على كثير من تعاريف الصهيونية بما فيها التي قدمها المسيري في موسوعته، فيرها على أهميتها وقيمتها إلا أنّها لا تصلح للاستعمال بوصفها تحديداً مفهوماً. وذلك لافتقارها إلى وجازة التعبير التي تشترط في التعريف المفهومي.

فهو يراها من الناحية النظرية صيغة جيدة استطاعت أن تستجمع مختلف أبعاد الظاهرة الصهيونية، ولكنها بسبب من الصيغة المنهجية التي قدمت بها تخرج من سياق التحديد المفاهيمي القابل للاستحضار والتداول إلى صيغة تصور أو مقالة موسعة.

لذا فهو يرى ضرورة تقديم مفهوم بديل للصهيونية تتوافر فيه الدقة والإيجاز، مع الاقتدار على استحضار حقيقة الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية، تلك الحقيقة التي تحاول الصيغة التعريفية الصهيونية أن تخفيها.

وفي هذا السياق واستثماراً للعديد من الأبحاث يقترح الباحث التعريف التالي:

"الصهيونية حركة ظهرت في القرن التاسع عشر استجابة لمشكلات أوروبية، وقد استثمرت التراث الثقافي اليهودي والدعم الأوروبي فانتهدت إلى إقامة دولة عنصرية في فلسطين، مرتكزة في إقامتها لدولتها هذه على جدلية الإجماع والتوطين، إجماعاً للفلسطينيين أصحاب الأرض وتوطين اليهود بدلاً عنهم".²

1 - ندى الشقيقي: الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، باحث للدراسات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001، ص 11

2 - لشرح أبعاد هذا التعريف أنظر الباحث المغربي الطيب بوعزة: مصطلح "الصهيونية" .. نحو صياغة تعريف بديل، مقال نشر في الجزيرة نت، ركن المعرفة، قسم مقالات رأي (تحليلات)، الثلاثاء 1430/1/16 هـ - الموافق 2009/1/13 م، <http://www.aljazeera.net>

اتجاهات الصهيونية

يرى بعض الباحثين أن الصهيونية السياسية بالمفهوم الذي أقره مؤتمر بازل، ثم تطور حتى قيام دولة "إسرائيل"، هي أكثر الاتجاهات الصهيونية شهرة وانتشاراً، إلا أن ذلك لا ينفي وجود غيرها. فقد طرحت الصهيونية منذ نشأتها من عدة وجوه، فكانت الصهيونية الدينية اليهودية، و الثقافية، والاقتصادية، والعملية، والسياسية، ومع تطور الصهيونية تزايدت فروعها، فكانت الصهيونية الاشتراكية، والمركبة....¹

أ/الصهيونية الدينية

وتعتبر أركان العقيدة الدينية اليهودية وهي الشاهد الحي على تواصل المعتقد الديني بين الأجيال، ومكانته حتى اليوم، وهي تقوم على أربعة أسس رئيسية وهي: الإيمان بالآله الواحد، الإيمان بأن اليهود هم شعبه المختار، الإيمان بأن المسيح سوف يرسله الرب لتخليص شعبه والإنسانية، الإيمان بعودة اليهود إلى وطنهم الأصلي.

علما أن العودة عندهم تكون بإذن الرب الذي يحكم وحده على سلوك أبنائه اليهود، بأنهم لا يعبدون غيره وأنهم طبقوا أوامره، ذلك أنهم يرون أن العهد الذي قطعه الرب لليهود مبني على شرط التطبيق والامتثال وهو متجدد، فإن هم وصلوا إلى الحد الواجب الوصول إليه من المثالية الأخلاقية، الذي يرضاه منهم، استدعى ذلك تصحيح العهد وتجديده، فيرسل لهم مسيحا ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة. فالصهيانية المتدينون لا يرون في أي مؤتمر سياسي طريق للعودة، ولا يرون حتى عذاب الهولوكوست ومعسكرات النازية سببا للعودة، فالعودة إن لم تقتزن بالإرادة الإلهية، بقدوم "المسيح الجديد"، هي عودة باطلة. وعليه فقيام دولة إسرائيل عندهم قيام باطل، لأنه جاء بناء على قرار سياسي لا إلهي. لذا ظهرت مواقف وأقوال متعددة من قبل اليهود، تشرح وجهة النظر الدينية الأرثوذكسية، كان من أولها عريضة

1 - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1999، ص 26. وكذا ندى الشقيقي: الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، مرجع سابق، ص 26

"ترسبورغ" صدرت سنة 1889، جاء فيها "نحن لا نعتبر أنفسنا شعباً بل جماعة دينية، ولذلك فنحن لا نتوقع عودة إلى فلسطين." أما من عادوا منهم قبل ولادة الدولة الصهيونية فهم معارضون لها وقد وصف عالم الدين اليهودي الدكتور جاكوب بيتشوفسكي حالهم بقوله: "سياسياً... لم يكن لديهم أية تطلعات بل على العكس من ذلك، فهم هم اعتقدوا أن كل الجهود المنصبة على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ما هي إلا معصيات ترتكب بشأن الموعد الزمني الذي لا يقرره إلا الله." بخلاف الصهيونية السياسية "الهرتزلية" التي قرر رجالها في مؤتمر بازل سنة 1897 العودة إلى الأرض المقدسة، ولم ينتظروا معجزة إلهية ولا عودة المسيح المخلص "الميسيا أو همشيع"¹.

ب/ الصهيونية الثقافية – الروحية

الصهيونية الثقافية، أو الصهيونية الروحية، كما يطلق عليها أيضاً، تنبع فلسفتها في القومية اليهودية من أولوية التراث الثقافي والخلقي، واللغة العبرية، وعلى الرغم من الأهمية التي تعطيها لقضية تجميع اليهود في أرض الأجداد، فإنها ترفض، من أجل الحصول على الأرض، إدعاء الصهيونية السياسية بحجة معاداة السامية واستفحالها، أو بالأوضاع المتردية التي تحيط باليهود اقتصادياً وسياسياً، وعوضاً عن ذلك، فهي ترى أن أعظم تهديد لبقاء اليهود في العقد الأخير من القرن التاسع عشر خاصة، يكمن في الضعف الداخلي للمجتمعات اليهودية، وفي فقدانها أي إحساس بوحدتها، وفي تداعي إمساكها بالقيم التقليدية والمثاليات والآمال. وقد برز العديد من المفكرين اليهود الذين أكدوا على أهمية العامل الثقافي في بعث القومية اليهودية، ومن أبرزهم موشي هس و بيريز سمولنسكين، ويعود الفضل في تطوير مضامين الصهيونية الثقافية، فكرياً وتوجيهها إلى "آحاد هعام"²، الذي كان يشدد على اللغة العبرية والقيم اليهودية

¹ - المرجع السابق، ص 326-327

² - آحاد هعام (Ahad Ha-am): لفظة عبرية تعني "واحد من العامة" أو "واحد من الشعب" وهو الاسم المستعار لواحد من زعماء "أحباء صهيون" الكاتب اليهودي الروسي أشير غينزبيرغ، كان يكتب بالعبرية. ويُعدُّ آحاد هعام من أهم الكُتَّاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث، كما يُعدُّ فيلسوف

التاريخية. وكان من المعارضين لسياسة هرتزل ولمؤتمر بازل، ويوصي بعدم جعل الأسلوب السياسي وسيلة للوصول إلى الهدف، وأنه أسلوب يميع القضية ويؤخرها، فهو يقول: إن خلاص "إسرائيل" لن يأتي عن طريق الدبلوماسية، و يتبنى خطة جديدة وبديلة في العمل تقضي بتشجيع الهجرة الجماعية، واحتلال الأراضي الفلسطينية، على أن يلزم ذلك الدخول في مفاوضات للحصول على الموافقات السياسية والقانونية اللازمة. ويؤكد ذلك بقوله: " ما من دولة تبنى على أساس البراءة، لأن البراءة ليست سوى السقف أو السطح الذي يستظله الكائن العضوي السياسي، فإقامة دولة وإرساء قواعدها وأسسها يجب أن يتم بطريق الاستيطان التدريجي والبطيء".¹

ج/الصهيونية العملية

اشتهرت الصهيونية العملية كمصطلح في تاريخ الحركة الصهيونية، وكحركة نشيطة ذات برنامج واحد، بعد صعود هيرتزل وصعود برنامجه السياسي معه، فالصهاينة العمليون كانوا يرون في النشاط الدبلوماسي اللاهث وراء وعود و ضمانات دولية مضیعة للوقت، لذلك عارضوا هيرتزل، وحصلوا جهودهم في تنمية المستعمرات داخل فلسطين، والعمل على زيادة الهجرة إليها، حتى تفرض سياسة الأمر الواقع

الصهيونية الثقافية ، أي الصهيونية الاثنية العلمانية، بل يعتبره بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني والذي خرج من تحت عباءته كل المفكرين الصهاينة، خصوصاً العلمانيين. وقد نشأ آحاد هعام في عائلة حسيدية في قرية صغيرة بالقرب من كييف، وكان أبوه عضواً في حركة حيد. تلقى تعليماً يهودياً تقليدياً حتى أن معلمه منعه من تعلم الألفبائية الروسية لأن هذا كان يُعدّ ضرباً من الهرطقة والجنون. ولكنه، مع هذا، التحق في نهاية الأمر بمدرسة ثانوية في روسيا. وقد دفعته دراسته الجديدة إلى هجر الحسدية، ثم تخلّى بعد ذلك عن كل إيمان ديني وإن كان قد عبّر عن إعجابه بالحسدية في إحدى مقالاته، وذلك بسبب طابعها اليهودي الإثني أي اليهودية كفلكلور. ولا شك في أن النزعة المتطرفة في الحسدية قد تركت أثرها فيه وفي بنیان فكره.

¹ - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق، الطبعة الثانية شباط 2006، ص522، وواظر أيضاً بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص328-329. وكذا ندى الشقيقي: الهلو كوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، مرجع سابق، ص27

نفسها. إلا أن هذا لا ينفي وجود بدايات، ولو متعثرة، للصهيونية العملية، تندرج في نشاطات الحركة التي عرفت باسم "أحباء صهيون"¹.

أما العامل المباشر وراء نشاط هذه الحركة، هو مقتل القيصر الروسي "ألكسندر الثاني" (Alexander II)، وقد نجم عن ذلك موجة قتل واضطهاد وعنف شديدة ضد اليهود، والتي نجم عنها ردة اجتماعية وتراجع رهيب عن أفكار التحرير والاندماج، فكانت ردة الفعل اليهود واضحة وطبيعية، فكفروا بكل الروابط التي تربطهم بالمجتمع الروسي، وخاصة المؤمنون منهم بالاندماج فيه، فبعد هذه الصفحة الروسية، أفاق اليهودي من سحر الحرية والاندماج الهش والموهوم، وعاد إلى ذاته اليهودية من جديد، حتى أن الشباب الذين كانوا يعتبرون المعابد الدينية من مخلفات الماضي، صاروا يبحثون عنها ويدخلونها لأول مرة، وكأن لسان حالهم يقول: "بكيث في يوم فلما صرت إلى غيره بكيت عليه". وبدأ البحث عن شرنقة "الجيتو" من جديد، يجمع شتات ما تبقى، ويبحث عن الأمل المفقود: الأمن والخلص، وبدأت حركة "الهجرة الجماعية" إلى خارج روسيا، فكانت الهجرة اليهودية إلى أمريكا والتي تضاعفت بعد موت القيصر الروسي، من أربعين ألف (40000) يهودي روسي، إلى مائة وخمسة وثلاثون ألفا (135000)، ورغم كثافتها إلا أنها لم تحل الأزمة. كثرة الضربات توحد الصفوف وتجمع الشتات فخلال سنتي 1881-1882 نشأت تجمعات وروابط متعددة باسم وحدة المصير المشترك، كان هدفها تحقيق هجرة اليهود إلى فلسطين، وكانت في البداية بسيطة ومستقلة عن بعضها البعض، ضم بعضها متدينين وطلابا ثوريين، وبعضها جمعت متعاطفين ومحسنين على استعداد للتبرع من أجل اليهود القاطنين في فلسطين، أو الذين ينوون الهجرة إليها، جمعهم حب صهيون ثم صاروا يلقبون باسم "أحباء صهيون". تحركت الهمم وتوحدت الجهود كما توحدت المعاناة، فكانت مجموعة طلاب جامعة "كراكوف"²، من أول وأنشط المجموعات، حيث

1 - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق ص 331.

2 - كراكوف (Krakow/Cracow): (بالبولندية: Kraków)، هي واحدة من أقدم وثاني أكبر المدن البولندية، تقع المدينة على نهر فيستلا في المنطقة بولندا الصغرى، ويرجع تاريخ المدينة إلى القرن

بدأت تطوف البلاد وتجمع أسماء المستعدين للهجرة إلى فلسطين، وجمعت في البداية خمسمائة (500) اسم فقط، كانوا من الشباب المتحمسين لفكرة الهجرة نحو فلسطين، فاتخذوا لأنفسهم شعارا توراتيا من [سفر إشعيا 5:2]: "يا بيت يعقوب، هَلُمَّ فَنَسْلُكَ فِي نُورِ الرَّبِّ". وشكلت الحروف الأولى منه بالعبرية كلمة "بيلو"، فاتخذوها اسما لهم. فكانت جماعة البيلو (Bilou/Bilu) وبدأ الإعداد للهجرة نحو فلسطين عمليا، علما أنه تقلص عدد البيلو المهاجرين في الدفعة الأولى من المئات إلى العشرات، حيث ما وصل منهم إلا أربعين إلى آستانة للتفاوض في شراء أرض فلسطين ولكن دون جدوى ، فلما فشلوا تفرقوا ولم يصل منهم إلى فلسطين إلا ستة عشر (16) في يوليو 1882، فكانوا الطليعة الأولى في الهجرة إلى فلسطين.¹

د/الصهيونية السياسية

اصطلاح يستخدم للتمييز بين البدايات الصهيونية مع جمعية "أحباء صهيون" التي كانت شبه ارتجالية تعتمد على صدقات أغنياء اليهود وبين صهيونية هيرتزل التي حولت المسألة اليهودية إلى مشكلة سياسية، وخلقت حركة منظمة محددة الأهداف والوسائل.

السابع الميلادي. وكان كراكوف تقليديا واحدة من المراكز الرائدة في الأكاديمية البولندية والثقافية والفنية والحياة. المراكز الاقتصادية الأكثر أهمية في بولندا. كانت عاصمة لبولندا 1038-1569 ؛ والكومنولث البولندي الليتواني 1569-1596؛ و أصبحت مدينة بدون أن تكون عاصمة لأي مقاطعة أو دولة 1815-1846؛ عاصمة للدوقية لكراكوف 1846-1918، وعاصمة كراكوف فويفود من القرن 14 إلى عام 1999. وقد نمت المدينة من مستوطنة العصر الحجري إلى مدينة بولندا. بدأت قرية صغيرة على "فافل هيل" وكانت كمركز تجاري مزدهم في أوروبا السلافية في 965. أكدت كراكوف دورها كمركز الأكاديمية والفنية وطنية كبرى. وبعد اجتياح القوات الألمانية لبولندا خلال الحرب العالمية الثانية، تحولت كراكوف إلى عاصمة الحكومة العامة. تم نقل السكان اليهود من المدينة إلى منطقة مسورة والمعروفة باسم الغيتو كراكوف <http://ar.wikipedia.org>

¹ - بيان نوبهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة ،مرجع سابق، ص331-332

وتعتبر الدعوات الفكرية التي أطلقها رواد الصهيونية، ولا سيما "بنسكر"، حجر الأساس في قيام الصهيونية السياسية التي أطلقها هيرتزل سنة 1897، وبمعنى آخر، فالصهيونية السياسية كانت قائمة، لكن في عالم النظريات، حتى جاء هيرتزل وحولها إلى حركة سياسية. وسنتناول هذه الحركة بالتفصيل في ثنايا هذا البحث.

وهناك من يكتفي بالإشارة إلى الصهيونية السياسية بالصهيونية فقط، غير أن نعتها بالسياسية قد نجم عن معارضة الصهاينة العمليين والثقافيين لهيرتزل، مما أدى إلى تمييز دعوته ونهجه على أساس كونها "الصهيونية السياسية" أو "الصهيونية الدبلوماسية". وسنبسط التفصيل فيها، من خلال مباحث هذه الرسالة¹.

ه/الصهيونية العمالية

يركز الصهاينة العماليون أو الاشتراكيون على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في وضع اليهود الناتج عن فقدان القدرة على الاندماج، لا على الجانب الديني من المسألة اليهودية. ولعل أهم تيارات المدرسة الصهيونية العمالية هي مدرسة غوردون التي ركزت على فكرة اقتحام الأرض والعمل كوسيلة من وسائل التخلص من عقد المنفى ووسيلة عملية لغزو الأرض وصهر القومية اليهودية الجديدة².

1 - المرجع السابق ، ص 336-337 . وكذا <http://ar.wikipedia.org>

2 - <http://ar.wikipedia.org>

الديانة المسيحية:

تعرف الديانة المسيحية بأنها ديانة أتباع المسيح عيسى (عليه السلام)، وقد ولد عيسى (عليه السلام) في المجتمع اليهودي، وفي زمن تميز باضطهاد السلطات الرومانية لليهود، وأخير القرآن الكريم عن قصة ميلاده المعجزة من مريم العذراء، وما أيده من معجزات مادية، فقد كَلَّمَ الناس في المهد: وكان يخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، ويرى الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذنه تعالى، كما ينبئ الناس بما يأكلون ويدخرون في بيتهم بإذن الله، وهي معجزات لليهود وإعلانا علميا للسلطان الإلهي وقدرته تعالى في مواجهة المادية والشرك الذي طغى على بني إسرائيل آنذاك.

ولذلك واجه اليهود دعوة عيسى عليه السلام بالانكار خاصة من الطبقة الأرستقراطية وناصبوا له العداء وحاولوا الإيقاع بينه وبين الحكومة الرومانية، وإن كانت دعوة المسيح خاصة لبني إسرائيل لم تشأ الدولة الرومانية بالتدخل في الشؤون الداخلية للجماعة اليهودية، ولكن استطاع اليهود بمكرهم الإيقاع بين عيسى عليه السلام والحكومة الرومانية لتحكم عليه بالإعدام، وهو ظن اليهود بقتلهم المسيح عيسى عليه السلام، ولكن نجد القرآن الكريم ينفي تنفيذ حكم القتل عليه وقد نجاه تعالى منهم كما في قوله تعالى: "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما"¹

وقد كان اضطهاد الحكومة الرومانية لأتباع المسيح متواصلا من عهد نيرون (64م) إلى عهد دقلديانوس (284) وهي الفترات الأشد ظلما وقسوة في تاريخ المسيحية منذ فجرها الأول.

¹ النساء: 157- 158.

دور بولس في الديانة المسيحية:

المسيحية المعاصر هي مسيحية بولس وليست مسيحية النبي عيسى (عليه السلام)، فهو أخطر رجل في حياة المسيحية، وهو يهودي كان في بداية حياته حاملا لواء العداء والاضطهاد لأتباع المسيح، وحدثت معه حادثة ادعى فيها رؤية المسيح، وجاءت بتفسيرات جديدة لحياة المسيح ودعوته، ليصبح قديسا من أتباع المسيح، ورسولا مبشرا بدعوته، وهو المؤسس الفعلي للعقائد الجديدة ونسبة علاقة بنوة المسيح عليه السلام لله (تعالى الله عن ذلك) وتفسيراته الجديدة لحادثة الصلب، كما وضع التعاليم والطقوس الدينية والكهنوتية الجديدة في الديانة المسيحية، وأغلب الرسائل هي رسائل بولس التي أخذت صفة القداسة وكانت ضمن الأسفار المقدسة.

وقد عمل بولس على نشر أرائه باجتهاد كبير ومن خلال رحلاته وتنقلاته في آسيا وأوربا وكان لكتابات مكنة بين كتابات الحوارين، ويرجع الفضل في تمكين المسيحية من الامبراطورية الرومانية إلى اعتناق الامبراطور قسطنطين المسيحية واعترافه بها في مرسوم ميلان سنة 333م، وبهذا وضعت معالمها وبرزت تعاليمها الجديدة¹.

1- إبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والانجيل والقرآن، دار المنار، 1989م، ص 156.

مصادر الديانة المسيحية:

تعتمد المسيحية على ثلاث مصادر دينية مقدسة وهي :

التوراة:

وتسمى العهد القديم، في مقابل الأناجيل والرسائل فهي العهد الجديد، والمسيحيون لا يأخذون كل أسفار العهد القديم، فهناك بعض الأسفار لا تأخذ بها المسيحية، وإن كانت مقدسة عند اليهود.

الأناجيل:

وتسمى الأسفار التاريخية، وتحتوي شروحا لحياة المسيح عيسى عليه السلام، ودعوته وأقواله، وهي : إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وهي أناجيل يعتقد أن أتباع المسيح عيسى عليه السلام هم من كتبوها عن معلمهم لسرد حياته ودعوته، وهي الأناجيل الأربعة التي اعترفت الكنيسة المسيحية بقداستهما في القرن اربع للميلاد، وأبعدت أناجيل أخرى سميت بأناجيل المنحولة، أو الأناجيل الأبوكريفا، وكان هذا في مجمع نيقية عام 325م.

الرسائل:

وتسمى الأسفار التعليمية، وهي توضح وتفسر المسيحية المعاصرة أكبر من الأناجيل، وقد دونت باللغة اليونانية.

العقائد المسيحية:

تتلخص العقائد المسيحية في مفاصل ثلاثة

عقيدة الحطية والفداء والصلب:

وقد وردت هذه الحادثة في الأناجيل، ويقصد بها النجاة على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور.

عقيدة بنوة المسيح لله:

وهذه العقيدة لها ارتباط وثيق بالفكر اليهودي، والبنوة تقتضي القرب وحتى الاندماج والحلول، ومن هنا تمخضت فكرة أن المسيح هو جوهر الله في المسيحية، وهذا راجع للأثر التاريخي الكبير الذي تركه الفكر الديني اليهودي على المسيحيين، وخاصة الأجيال المتأخرة، ولهذا وغيره من الأسباب وجدت دعوة بولس (المسيح بن الله) قبولاً لدى شرائح كبيرة من المسيحيين في الأقاليم التي وصل إليها التبشير في عهد الرسل.

عقيدة التثليث:

وهي من العقائد الوثنية التي انتقلت إلى الديانة المسيحية، وهي القول بألوهية هي: الآب، والله الابن -وهو المسيح-، والله الروح القدس.

الإسلام:

الإسلام هو دين الفطرة والملة الحنيفية وهو اسم دين الله الذي تعبد به الناس على أيدي الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم - وهذا ما تقرره الآية الكريمة: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه"¹ فالإسلام اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، قال تعالى في القرآن الكريم على لسان نوح (عليه السلام) مخاطبا قومه: "وأمرت لأكون من المسلمين"² ويعقوب عليه السلام يوصي بنيهِ: "فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"³، ويقول موسى لقومه: "يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين"⁴ وقال الخواريون لعيسى (عليه السلام): "آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون"⁵

وسميت الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ بالإسلام، والاسلام منظومة عقدية وتشريعية وأخلاقية متكاملة أساسها الكتاب الخالد المقدس القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ليكون الإسلام: التوجه إلى الله رب العالمين في خضوع خالص لا يشوبه شرك، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أي لسان وفي أي مكان، دون تمرد على حكمه، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتبه وبين رسله، ففي قوله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"⁶.

أما الإسلام الخاص: هو الدين الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وقد بين النبي ﷺ الإسلام بمعناه الخاص، وأنه الدين الذي جاء به، فعن عمر رضي الله عنه أقال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد

1- الشورى: 13.

2- يونس: 72.

3- البقرة: 132.

4- يونس: 84.

5- آل عمران: 52.

6- البينة: 5.

الشَّعْرُ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كُفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا".....¹.

يستند الإسلام على جملة من المصادر التشريعية يأتي في مقدمتها القرآن الكريم، القرآن الكريم هو "كتاب الله - عز وجل- المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ لفظه ومعناه، المنقول إلينا بالتواتر، المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"²، وقد روعي في تسمية القرآن بهذه التسمية، كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا، كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين منتسمة الشيء بالمعنى الواقع عليه، والقرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيما عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدا عليها بما شاء الله تعالى من الزيادة، فكان بقضاء من الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، كما يضيف محمد عبد الله دراز: "ولما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيا حقيقيا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بالوجه، لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليات، والكل لا يطابق الجزئي مفهوما، لأنه يقبل الانطباق على كل ما يفرض ممثلا له في ذلك الوصف ذهنيا، وإن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميزا له عن جميع ما عداه، فلا يكون حدا صحيحا"³، ولتحقيق غاية الوصول إلى معنى يكون قريبا من المعاني والتعاريف الحقيقية التي تصف وتعرف كتاب الله، اجتهد العلماء المسلمون لوضع تعريف يكون شاملا مانعا، للدلالة على القرآن الكريم، بقولهم: أن

1 - أخرجه البخاري ومسلم

2- محمد محمد أبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1987م، ص6.

3- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم- نظرات جديدة في القرآن-، دار القلم، الكويت، د ط، د ت ، ص 14.

القرآن الكريم: "كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه"¹، أحكمه الله فأتقن إحكامه، وفصله فأحسن تفصيله، لا يتطرق إلى ساحته نقص ولا باطل²، فالقرآن الكريم المعجزة الخالدة، والآية البينة على رسالة الإسلام، وهو الكتاب المطلق في حقائقه، والمحيط بقضايا الوجود، وحجة الله على الناس، وجب على الإنسان التصديق بإلهيته وعصمته، وفهم آياته واستخراج كنهه وجواهره، وفهم رسالته القيمة الصالحة والموجهة في كل زمان ومكان.

كما تأتي السنة النبوية: وهي الأصل الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك من خلال قوله عليه السلام أو فعله أو تقريره، والسنة النبوية لها دور مهم في مصادر الشريعة فهي التي تبين القرآن وتكمله، وتوضح المقصود من آياته وجزئياته.

ويقوم الإسلام على خمسة أركان بينها النبي ﷺ بقوله: "الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"³.

تقوم العقيدة الإسلامية على أصول الإسلام الستة وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد دل كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه الكريم على وجوب الإيمان بهذه الأصول الستة، ويتضمن الإيمان بتلك الأصول الاعتقاد بأن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة دون سواه من الخلق، وإفراده بجميع أنواع الأعمال التي يتعبد بها المسلم من صيام وصلاة ونذر ودعاء وخوف ورجاء، واتباع وطاعة الله فيما أمر، والابتعاد عما نهى عنه، وضرورة الإيمان

¹ محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأشعري، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج 1، ص 169.

² محمد محمد أبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 6.

³ أخرجه البخاري ومسلم.

بأن الله هو وحده الخالق المدبر الرزاق، وأنه وحده صاحب الصفات العلى والأسماء الحسنى التي لا تنبغي لأحد من خلقه، وهو جوهر التوحيد. علماً أن العقيدة لغة مأخوذة من العقد؛ وهو الشد والربط بقوة، وتعرف العقيدة اصطلاحاً بتعريفين: الأول هو تعريف العقيدة العام، والثاني تعريف العقيدة الإسلامية؛ أما التعريف العام: فالعقيدة هي ما يعقد عليه الإنسان قلبه بشكل لا يتمل الشك أو الريب، وأما العقيدة الإسلامية: فتعرف بالإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإقرار بربوبية الله تعالى، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وأصول الدين، وأمور الغيب الواردة في النصوص الشرعية الصحيحة.

أهمية العقيدة الإسلامية:

إنَّ للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة؛ حيث إنَّ ترسيخ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره يؤدي إلى توجيه السلوك والقيم والمبادئ، بالإضافة إلى تحقيق العبودية لله تعالى، من خلال توحيده في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، ومما يدل على أهمية العقيدة الإسلامية:

- غالباً ما كانت تبدأ دعوة الأنبياء والرسل بترسيخ العقيدة والإيمان، كما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)¹، وكذلك كان منهج رسول الله - ﷺ - في دعوته، حيث بدأ في مكة المكرمة بالدعوة إلى الإقرار بوحداية الله تعالى، وتوحيد العبادة له، ثم استمرت تربيته للصحابة - رضي الله عنهم - على العقيدة ثلاثة عشر عاماً، ومما يدل على ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إنَّما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل؛ فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام،

نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً.¹

- ارتباط العمل الصالح بالعتيدة، وهذا ما دلّت عليه الأصول العتدية المستمدة من القرآن الكريم، فلا إيماناً إلا بالعمل الصالح، ولا عملاً صالحاً إلا بالإيمان، ولذلك وعد الله -تعالى- من آمن وعمل صالحاً بأعلى الدرجات في الآخرة، وبالحياة الطيبة في الدنيا، حيث قال: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)²، وقال أيضاً: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)³.

- العتيدة الصحيحة والإيمان من أعظم الأمور التي تبعد عن المعاصي والذنوب، فالإيمان بالله -تعالى- يدفع الإنسان إلى استشعار رقابته، مما يؤدي إلى تقوى الله والبعد عن معصيته، كما أن الله -تعالى- يدفع شر الشيطان عن المؤمنين المتوكلين عليه؛ حيث قال عن حال الشيطان مع المؤمنين: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)⁴، بالإضافة إلى أن الإيمان يدفع صاحبه إلى الإسراع إلى التوبة، والإقلاع عن الذنب في حال ارتكابه لمحرم أو تركه لواجب، كما قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)⁵.

- للعتيدة الإسلامية الصحيحة أثر على علاقة أفراد الأمة ببعضهم البعض، حيث إن العتيدة تحمي من جعل الولاء لغير الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم،

¹ - [رواه البخاري]

² - [سورة النحل: 97]

³ - [سورة طه: 75]

⁴ - [سورة النحل: 99]

⁵ - [الأعراف: 201]

والمؤمنين ، وتدفعهم إلى التكافل، والتضامن، والشعور بالأخوة الإيمانية، بغض النظر عن الحدود الجغرافية التي تفصل بينهم، أو الطبقة، أو الحالة الاقتصادية؛ لأنّ ولاءهم، وحبهم، ومناصرتهم تكون على أساس الأخوة في الدين، كما قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)¹.

- العقيدة هي الأساس الذي ينبنى عليه جميع فروع الحياة؛ حيث إنّها تبني ثقة المسلم بنفسه، وتدفعه للعمل الجاد، وللتضحية بالنفس والمال والجهد في سبيل المبادئ التي آمن بها، كما فعل السلف الصالح، فانتصروا على أعدائهم، وبنوا حضارتهم.

وللعقيدة الإسلامية صلة وطيدة بالأخلاق التي تعد مخرجاتها وتطبيقاتها في الواقع، إذ تعتبر العقيدة الصحيحة من أهم الأمور التي تدفع الإنسان للتخلي بالأخلاق الحميدة، وفيما يأتي بيان ارتباط الأخلاق الفاضلة بالإيمان:

- ارتباط الأخلاق بالإيمان بالله تعالى؛ حيث يعتقد صاحب العقيدة أنّ التزامه بالأخلاق الفاضلة، وتركه للأخلاق السيئة طاعة لله -تعالى- الذي أمره بذلك، وممارستها جزء من إيمانه، ومما يدلّ على ذلك وصف الرسول -ﷺ- لبعض الأخلاق الحميدة، مثل: إمطة الأذى عن الطريق بأنّه من الإيمان؛ عن أبي هريرة ؓ أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)². - ارتباط الأخلاق بالإيمان بالرسول؛ حيث يلتزم صاحب العقيدة بالأخلاق؛ اقتداءً بالرسول ﷺ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق؛ وذلك مقتضى إيمانه بنبوته وأنه مبلّغ من الله عز وجل.

1 - [التوبة:71]

2 - [رواه مسلم]

- ارتباط الأخلاق بالإيمان باليوم الآخر؛ فالاعتقاد بأن الله - تعالى - سيثيب صاحب الخلق بالأجر العظيم يوم القيامة، وأن الأخلاق الفاضلة طريق تؤدي إلى الجنة، يدفع إلى الالتزام بها، وكذلك الخوف من العقاب المترتب على سوء الخلق، والاعتقاد بأنه قد يكون السبيل إلى النار، يمنع من ممارستها، ومما يدل على ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوَن، وَالمُتَشَدِّقُونَ، وَالمُتَفِيهِقُونَ)¹.

وفي الختام تجدر الإشارة أننا لم نفصل في تاريخ الإسلام من ما قبل البعثة إلى فتح مكة وما بعدها من تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرها من محطات التاريخ الإسلامي، لأن ذلك يدرسه طالب التاريخ في مقاييس أخرى كمقياس "صدر الإسلام" و "الدولة الأموية"، و الدولة العباسية والخلافة العثمانية وغيرها من المواد والمقاييس التي يدرسها عبر مصاره التكويني.

تم بحمد الله وتوفيقه

¹ - [صحيح الترمذي]